هل أمر القرآن محمد بالبتولية ؟!

بقلم : جون يونان

{ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ **وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** }
(المزمل : 8)

بحثنا سيدور حول سورة واحدة هي "المزمل" . ولا سيما النص رقم (8) وفيه الأمر لمحمد بالبتولية !

المحور الأول :

محمد بتول كالرهبان !

جاء في القرآن قوله : { وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ **وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** } (المزمل : 8)

تبتل اي انقطع للعبادة .. وهذه عادة الرهبان !

ولنقرأ التفاسير الاسلامية المعتمدة :

- " { تَبَتَّلْ إِلَيْهِ } **أي انقطع إليه.** "
  (تفسير كتاب نزهة القلوب- أبي بكر السجستاني).

- " قوله تعالى: { وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } أي: **انقطع إلى الله في العبادة، ومنه قيل لمريم: البَتُول. والمعنى: بتّل نفسك**"
  (تفسير رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز- عز الدين عبد الرازق الرسعني الحنبلي- المزمل :8).

اذ قيل لمريم : **البتول** !
فمحمد كان المفروض به ان يكون بتولاً كمريم ... انما لم يطق البقاء على حياة البتولية !

نواصل مع التفاسير ..

- "{ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } أي **انقطع إليه بالعبادة** والتوكل عليه وحده. وقيل: **التبتل رفض الدنيا**. وتبتيلاً مصدر على غير قياس..".

(تفسير التسهيل لعلوم التنزيل- ابن جزي الغرناطي)

والانقطاع الى الله هي عبادة الرهبان في الأديرة !!

- " { وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } أي: **انقطع إلى اللّه تعالى**، فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، **والاتصاف بمحبة اللّه**، وكل ما يقرب إليه، ويدني من رضاه.".

(تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي)

محمد كان مأموراً بالانقطاع الى الله والانفصال عن الخلائق ..

"والاتصاف بمحبة الله" (!!)

اليست هذه ألفاظ الرهبان وحياتهم ؟!

- " قال ابن عباس وغيره: أخلص إليه إخلاصاً. وقال الحسن: اجتهد. وقال ابن زيد: **تفرغ لعبادته**. قال سفيان: توكل عليه توكلاً. وقيل: **انقطع إليه في العبادة انقطاعاً**، وهو الأصل في الباب، يقال: **تبتلت الشيء أي: قطعته**، وصدقةٌ بتةٌ: أي: مقطوعة عن صاحبها لا سبيل له عليها، والتبتيل: التقطيع تفعيل، منه يقال: بتلته فتبتل، والمعنى: بتّل نفسك إليه، ولذلك قال: تبتيلاً. قال زيد ابن أسلم: **التبتل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله تعالى**.".

(تفسير معالم التنزيل-البغوي)

- "والتبتل: **الانقطاع إلى الله تعالى** بتأميل الخير منه دون غيره. وقيل: **رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله** { تَبْتِيلاً } في اختلاف المصدر زيادة تأكيد أي بتّلك الله فتبتل تبتيلاً أو *جيء به مراعاة لحق الفواصل*[1] ".

(تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل- النسفي)

- "{ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ } أي **وانقطع إليه تعالى بالعبادة وجرد نفسك عما سواه** عز وجل واستغرق في مراقبته سبحانه".

(تفسير روح المعاني- الالوسي)

التبتل رفض الدنيا وما فها والانقطاع الى الله والتفرغ لعبادته وتجريد النفس عما سواه .. كل هذا هو الرهبانية بحذافيرها !

بل ان التبتل الذي أمر به محمد هو الانقطاع عن النكاح اي الزواج ! .. اذ نقرأ :

- "قال الزمخشري: " لأنَّ معنى تَبَتَّل: " بَتَّلَ نفسَه، فجيْءَ به على معناه مراعاةً لحَقِّ الفواصِل[1] ". **والتبتُّل: الانقطاعُ. ومنه " امرأة بتولٌ " ، أي: انقطَعَتْ عن النِّكاح**، وبَتَلْتُ الحَبْلَ: قَطَعْتُه. قال الليث: البَتْلُ: تمييزُ الشيءِ من الشيءِ. وقالوا: " طَلْقَةٌ بَتْلَةٌ " ، و " هِبَةٌ بَتْلَةٌ " يعنونَ انقطاعها عن صاحبِها، **فالتبتيلُ تَرْكُ النِّكاحِ، والزهدُ فيه**. ".

(تفسير الدر المصون-السمين الحلبي)

---

[1] اكتشف المفسرون السقطة النحوية القرآنية بقوله "**تبتيلاً** " والصواب هو "**تبتلاً** " وليس تبتيلاً . فاضطروا الى القول ان القرآن استخدمها "***مراعاة للفواصل*** " اي مراعاة للقافية التي يسير عليها .. ونعلم انها قاعدة تجوز للشعراء أي ان يغيروا ويكسروا قواعد اللغة مراعاة للقافية.. فهل يعترفون ان القرآن ليس سوى شعر عربي ؟!

- "الثانية ــ قوله تعالى: { وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } **التبتل: الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل**؛ أي ٱنقطع بعبادتك إليه، ولا تشرك به غيره. يقال: بتلت الشيء أي قطعته، ومنه قولهم. طلقها بَتّةً بَتلة، وهذه صدقة بتة بتلة؛ أي بائنة منقطعة عن صاحبها؛ أي قُطِع ملكه عنها بالكلية؛ **ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى، ويقال للراهب متبتّل**؛ لانقطاعه عن الناس، وٱنفراده بالعبادة. قال: تُضِيءُ الظَّلامَ بالعِشَاءِ كأَنَّهَا مَنارةُ مُمْسَى **راهِبِ مُتَبَتِّلِ**".

(الجامع لاحكام القرآن – القرطبي)

البتولية التي أمر بها محمد كانت كبتولية مريم البتول !

فالتبتل والبتولية التي كان محمد مأموراً بها معناها هو التالي :

1- التبتل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله تعالى !
2- الانقطاع إلى الله تعالى !
3- هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه، ويدني من رضاه !
4- والتبتل: الانقطاع ومنه " امرأة بتولٌ " ، أي: انقطَعَتْ عن النِّكاح، فالتبتيلُ تَرْكُ النِّكاح، والزهدُ فيه !!
5- البتولية مثل مريم البتول لانقطاعها الى الله !

لكن هذا الأمر وهذه الرهبانية قد اقلقت وازعجت المفسرين لأنها تتناقض كلية مع حياة محمد في الفترة المدنية .. فأوردوا نهي محمد عنها .. بعد أن أمره بها ربه !!

- "يقول تعالى ذكره: { وَاذْكُرْ } يا محمد { اسْمَ رَبِّكَ } فادعه به { وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } يقول: **وانقطع إليه انقطاعاً** لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره وهو من قولهم: تبتَّلتُ هذا الأمر **ومنه قيل لأمّ عيسى بن مريم البتول، لانقطاعها إلى اللّه** ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله: قد تبتل ومنه الخبر **الذي رُوي عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم «أنه نهى عن التبتُّل»**. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل."

(تفسير جامع البيان في تفسير القرآن- الطبري)

- "الثالثة ــ قد مضى في «المائدة» في تفسير قوله تعالى:{ يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ } [المائدة: 87] كراهة لمن تبتَّل وٱنقطع وسلك سبيل الرهبانية بما فيه كفاية. قال ٱبن العربيّ: وأما اليوم وقد مَرِجت عهودُ الناس، وخفّت أماناتهم، وٱستولى الحرام على الحُطام، فالعزلة خير من الخُلْطة، والعُزْبة أفضل من التأهُّل، ولكن معنى الآية: ٱنقطِعْ عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله، وكذلك قال مجاهد: معناه: أخلص له العبادة، ولم يرد التبتّل، **فصار التبتل مأموراً به في القرآن، منهيّاً عنه في السنة**، ومتعلق الأمر غير متعلق النهي، فلا يتناقضان، وإنما بعث ليبيِّن للناس ما نزل إليهم؛ فالتبتّل المأمور به: الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة؛ كما قال تعالى:{ وَمَآ أُمِرُوۤاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ } [البيّنة: 5]."

(تفسير الجامع لاحكام القرآن- القرطبي)

صورة من تفسير القرطبي : التبتل مأمور في القرآن منهي عنه في السنّة !

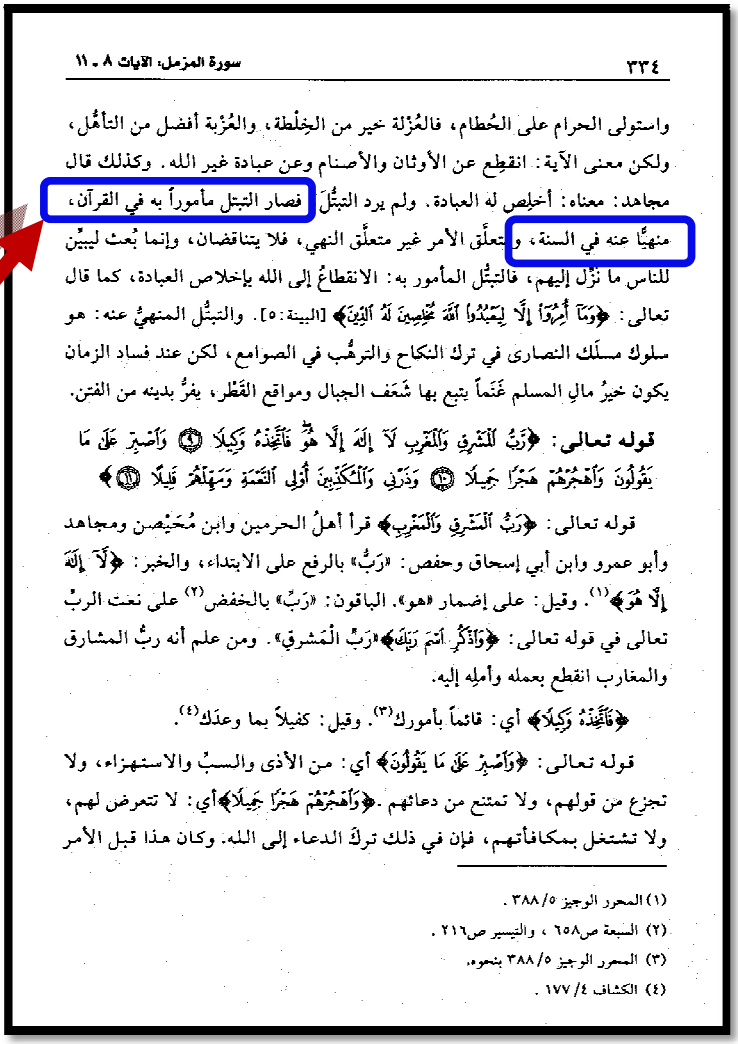

٣٣٤ سورة المزمل: الآيات ٨ ـ ١١

واستولى الحرام على الحُطام، فالعُزْلة خير من الخِلْطة، والعُزْبة أفضل من التأهُّل، ولكن معنى الآية: انقطِع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله. وكذلك قال مجاهد: معناه: أخلِص له العبادة. ولم يرد التبتُّلَ فصار التبتل مأموراً به في القرآن، منهيًّا عنه في السنة، وتعلَّق الأمر غير متعلَّق النهي، فلا يتناقضان، وإنما بُعث ليبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم، فالتبتُّل المأمور به: الانقطاعُ إلى الله بإخلاص العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. والتبتُّل المنهيُّ عنه: هو سلوك مسلَك النصارى في ترك النكاح والترهُّب في الصوامع، لكن عند فساد الزمان يكون خيرُ مالِ المسلم غَنَماً يتبع بها شَعَف الجبال ومواقع القَطْر، يفرُّ بدينه من الفتن.

قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ قرأ أهلُ الحرمين وابن مُحَيْصن ومجاهد وأبو عمرو وابن أبي إسحاق وحفص: «رَبُّ» بالرفع على الابتداء، والخبر: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1]. وقيل: على إضمار «هو». الباقون: «رَبِّ» بالخفض[2] على نعت الربّ تعالى في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾«رَبِّ الْمَشرِقِ». ومن علم أنه ربُّ المشارق والمغارب انقطع بعمله وأمله إليه.

﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ أي: قائماً بأمورك[3]. وقيل: كفيلاً بما وعدَك[4].

قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من الأذى والسبِّ والاستهزاء، ولا تجزع من قولهم، ولا تمتنع من دعائهم. ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾أي: لا تتعرض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم، فإن في ذلك تركَ الدعاء إلى الله. وكان هذا قبل الأمر

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨.
(٢) السبعة ص٦٥٨، والتيسير ص٢١٦.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨ بنحوه.
(٤) الكشاف ٤/ ١٧٧.

فصار التبتل مأموراً به في القرآن، منهيّاً عنه في السنة !!!

عجباً لهذا الصراع بين القرآن والسنة !

حتى اختلف علماء الإسلام في قضية جواز ان تنسخ السنة آيات وأحكام القرآن !

المحور الثاني :

نسخ محمد وأبطل بتوليته الرهبانية السابقة!

سورة المزمل كلها مكية .. ما عدا الايات 10 و11 و20 فمدنية.
والاية 20 بالتحديد أي خاتمة السورة ، اعتبرت كالناسخة لمطلع السورة . ونلاحظ مدى طول الآية .. مما يدل على اقحامها في السورة بغية نسخها .

المنقوض ورد في بداية السورة .. والناقض آية واحدة في خاتمتها !!

1ـ نسخ محمد وأبطل البتولية!

كما رأينا في التفاسير الاخيرة ..

- "**فصار التبتل مأموراً به في القرآن، منهيّاً عنه في السنة**"
(القرطبي)

2ـ نسخ محمد وأبطل فرض قيام الليل !

- "ونزل القرآن: { يأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ } **حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق**، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه، فرحمهم فردهم إلى الفريضة **وترك قيام الليل**."

(تفسير القرآن العظيم – ابن كثير)

ونلاحظ ربط الحبل والتعلق به لكي يبقى ساهراً طوال الليل .. وهي عادة الرهبان في الصوامع والقلالي ..
لكنه نسخ هذا وابطله .. !!

ابطله ليريح اصحابه الذين انتفخت أقدامهم وتورمت !!

- "وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبي عبد الرحمن قال: لما نزلت: { يأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ } **قاموا حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم** حتى نزلت:

{ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ } **قال: فاستراح الناس**. وكذا قال الحسن البصري والسدي. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال: فقلت، يعني: لعائشة: أخبرينا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: ألست تقرأ: {

يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ }؟ قلت: بلى، قالت: فإنها كانت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه **حتى انتفخت أقدامهم، وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهراً، ثم نزل**. وقال معمر عن قتادة: { قُمِ ٱلَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً } **قاموا حولاً أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم، فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة**."

(ابن كثير)

فأبطل كل ذلك في آخر السورة التي نزلت في المدينة بعد سنوات طوال !!

- "وقد قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد من السلف : **إن هذه الآية نسخت الذي كان اللّه قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل** ، واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم. "

(ابن كثير)

3. نسخ وأبطل الهجر الجميل وعدم الايذاء بالسيف والقتال !

- "**الهجر الجميل**: أن يجانبهم بقلبه وهواه، ويخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك إليهم، وإن قلوبنا لتقليهم وقيل: هو

منسوخ بآية السيف."

(تفسير الكشاف- الزمخشري – المزمل 10)

- " { وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ } أي كفار مكة من أذاهم { **وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً** } لا جزع فيه **وهذا قبل الأمر بقتالهم**"

(الجلالين- المزمل 10)

- " حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: { وَاصْبِرْ على ما يَقُولُونَ وَاهْجُرْهم هَجْراً جَمِيلاً } **براءة نسخت ما ههنا أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، لا يقبل منهم غيرها**."

(الطبري – المزمل 10)

- " قوله تعالى: { وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ } أي من الأذى والسبّ والاستهزاء، ولا تجزع من قولهم، ولا تمتنع من دعائهم. { وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً } أي لا تتعرض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم، فإن في ذلك ترك الدعاء إلى الله. **وكان هذا قبل الأمر بالقتال، ثم أمر بعدُ بقتالهم وقتلهم، فنَسخت آية القتال** ما كان قبلها من الترك؛ قاله قتادة وغيره. وقال أبو الدرداء: **إنا لَنَكْشِرُ في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقْلِيهم أو لتلعنهم**."

(الجامع لاحكام القرآن – القرطبي – المزمل 10)

نتيجة :

محمد في مكة : كان نصرانياً راهباً متبتلاً محباً .

محمد في المدينة : ارتد مسلماً ، معدداً للنكاح ، سابياً للنساء ، مجاهداً غازياً ، مرعباً ، مبعوثاً بالسيف .

انها التناقضات في حياة رسول الاسلام ..
كان مأموراً بالبتولية في القرآن (المكي) .. ثم قام بالنهي عنها ورفضها في سنته النبوية . فكيف ينسجمون مع أنفسهم حين يقولون، ان خلق واخلاق محمد كانت القرآن ؟ [2]

---

[2] اذ نقرأ :
" عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ . قَالَ : أتيت عَائِشَةَ . فَقُلْتُ : يَا أم الْمُؤْمِنِينَ اخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ص . قَالَتْ : **كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ** أما تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) . قُلْتُ : فَإِنِّي **أُرِيدُ أَنْ اتَبَتَّلَ** . قَالَتْ : **لا تَفْعَلْ** امَا تَقْرَأُ : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) فَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَقَدْ وُلِدَ لَهُ. ".
(أخرجه أحمد 91/6 وأخرجه النسائي 58/6).

كان خلقه القرآن .. وحين اخبر سعد عائشة عن نيته للتبتل نهته بحجة ان محمد قد تزوج وانجب .. وقد استشهدت بآية : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " .. ولو كنت مكانه لسألتها وألم تقرأي سل عائشة : { وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ **وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** } (المزمل : 8)